(تَقدِيمُ الشَّخصِيَّةِ في شعر البسطي)

(The Presentation of Character in al-Basṭī's Poetry)

م.د. إخلاص خالد عبد الجلالي
الجامعة العراقية/كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة العربية
Dr. Ikhlas Khaled Abdul- Jalali
University of Iraq / College of Islamic Sciences
Department of
Arabic Language
E-Mail: ekhlas.k.abedalgalali@aliraqia.edu.iq

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن أبرز الأساليب الفنية التي وظّفها الشعراء في تصوير واقعهم وتفاصيل حياتهم، من خلال استثمار آليات السرد في النص الشعري. وقد ركزت الدراسة على طرائق تقديم الشخصية بوصفها عنصرًا محوريًا في العمل السردي، ومكوِّنًا أساسيًا في بناء النصوص ذات الطابع القصصي.

وقد اختار البحث شعر عبد الكريم البسطي، آخر شعراء العصر الأندلسي، أنموذجًا تطبيقيًا، إذ تميّز هذا الشاعر بإبراز عدد كبير من الشخصيات في شعره، واغلبها الشخصيات الواقعية المستمَدّة من البيئة والتاريخ، وقد قدّمها بأساليب مختلفة. وتكمن أهمية هذا الجانب في أن رسم الشخصية ووصفها وتطورها يُعد من العناصر الجوهرية في بناء العمل الأدبي.

لذا، تتبعت هذه الدراسة طرائق تقديم الشخصية في شعر البسطي من خلال تحليل العناصر الآتية: الوصف، والحوار، والسرد، للكشف عن الكيفية التي أسهمت بها هذه الآليات في بناء الشخصيات الشعرية، وما تعكسه من دلالات فنية وثقافية ترتبط بواقع نهاية العصر الأندلسي.

الكلمات المفتاحية: (البسطي، الشخصية، الوصف، الحوار، السرد).

Abstract:

This study aims to uncover the most prominent artistic techniques employed by poets to depict their reality and the details of their lives by utilizing narrative mechanisms within poetic texts. The research focuses on methods of character presentation as a central element in narrative works and a fundamental component in constructing texts with a storytelling nature.

The study selects the poetry of ʿAbd al-Karīm al-Basṭī, the last poet of the Andalusian era, as an applied model. This poet is distinguished by his emphasis on a large number of characters in his poetry—some drawn from his environment and historical context, and others fictional—presented through various techniques. The importance of this aspect lies in the fact that character construction, description, and development are considered essential elements in literary composition.

Therefore, this study traces the methods of character presentation in al-Basṭī's poetry through an analysis of the following elements: description, dialogue, and narration, in order to reveal how these mechanisms contribute to the construction of poetic characters and what artistic and cultural implications they reflect about the reality of the final stage

Keywords:" al-Basṭī, character, description, dialogue, narration".

Abstract:

This research seeks to monitor the efforts of Palestinian writers as they find themselves facing a dual challenge: rising to the level of their people's tragedy and embodying their pain in sophisticated and innovative literary texts. They had to transform scenes of killing, massacres, and displacement into literature that conveyed beauty despite the enormity of the pain. This is because the Palestinian people's cause has become the cause of every conscious person, and these people cannot be ignored because their circumstances hurt feelings.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرَّحمنِ الرَّحيمِ، وأفضلُ الصَّلاةِ وأتمُّ التَّسليمِ على المُصطفى الأمينِ، المبعوثِ رحمةً للعالمينَ، محمَّدٍ (ﷺ)، وعلى آلهِ الطَّيِّبينَ، وأصحابِهِ الصَّالحينَ، أمَّا بعدُ.

يُعد شعر عبد الكريم البسطي، أحد شعراء القرن التاسع الهجري وآخر شعراء الأندلس، نموذجًا مميزًا لحضور الشخصيات وتنوع طرائق تقديمها في النص الشعري. فقد تميز شعره ببروز واضح للشخصية بوصفها عنصراً فنياً فاعلاً في التعبير عن الواقع والذات.

لقد مرّ الشاعر البسطي بمحن شديدة غيّرت مجرى حياته، إذ تكالبت عليه الأعداء واضطر إلى مغادرة وطنه والهجرة عنه. وعلى الرغم من ذلك، ظل يحمل في داخله حنينًا عميقًا إلى أهله وأحبّته، فعكس هذا الصراع الداخلي في شعره من خلال تجسيد شخصيات متعددة من بيئته ومجتمعه.

بعض هذه الشخصيات مدحها وأشاد بصفاتها النبيلة، فيما هجا البعض الآخر وذمّهم بأشد العبارات، مما يعكس مدى التفاعل الشعوري والوجداني الذي طبع تجربته الشعرية.

ويُبرز هذا التوظيف الفني تداخلاً بين جنسين أدبيين، هما: السرد والشعر، دون أن يُلغي أحدهما خصوصية الآخر؛ إذ تبقى سيطرة البنية الشعرية واضحة رغم استدعاء آليات السرد وتقنياته.

وقد توزعت مادة البحث على تمهيد، وثلاثة مباحث، وملحق التعريف بالشخصيات التي وردت في قصائد الشاعر داخل متن البحث، وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

منهج البحث:

سَلك المنهج الوصفيّ، وبعض أدواته، كالوصف والتَّحليل والمُلاحظة.

الدراسات السَّابقة (الكتب)

١-البسطي آخر شعراء الأندلس، د.محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

رسائل واطاريح:

١-الشعر الديني في الأندلس عبد الكريم القيسي انموذجا، رسالة ماجستير، الطالبة فضيلة بوقريو إشراف راشد شقوفي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، كلية الاداب واللغات، ٢٠١٨_٢٠١٩م.

٢-البناء الفني في شعر عبد الكريم القيسي الأندلسي،اطروحة دكتوراه، اعداد الطالبة اسماء فورار، إشراف امحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الاداب واللغات، قسم الادب واللغة العربية، ٢٠١٩_٢٠٢٠م.

٣-الآخر في شعر عبد الكريم القيسي، رسالة ماجستير، الطالب مهند صالح مهدي، إشراف د.علاء طالب عبد الله، الجامعة العراقية، كلية الآداب، ٢٠٢٠م.

٤-الآخر في شعر عبد الكريم القيسي، رسالة ماجستير، الطالبة إخلاص مال الله جعفر، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٢١م.

البحوث:

١-نقد المجتمع الأندلسي عند الشاعر البسطي، م.ليلى مناتي محمود، مجلة كلية اللغات، العدد٣٤.

٢-لغة التضاد في شعر البسطي آخر شعراء الأندلس، د.عهود عبد الواحد

٣-صورة المفارقة في شعر عبد الكريم القيسي الأندلسي دراسة لغوية، احمد محمد ربيع حسن سليم.

٤-الرثاء عند عبد الكريم القيسي(دراسة وصفية تحليلية)، د.فتحية محمد عبد الحميد، جامعة بنغازي، كلية التربية_مرج، المجلة الليبية العالمية، العدد ٥٣، ٢٠٢١م.

٥-الصورة الحسية في شعر الشاعر البسطي الاندلسي(٨٧٦هـ) أ.م.د.ندى عسكر محمود، الجامعة المستنصرية، كلية التربية الأساسية، مجلد ٣٧ عدد٣ . ٢٠٢٣م. مجلة نسق.

التمهيد
(تَقدِيمُ الشَّخصِيَّةِ، والشاعر)

اولاً: (تَقدِيمُ الشَّخصِيَّةِ)

إن تقديم الشخصية تقنية ضرورية للسرد القصصي ولها دور رئيس في تفعيل دينامية العملية السردية داخل فضاء النص الشعري ؛ والمقصود بمصطلح تقديم الشخصية هو طريقة الشاعر في تقديمِ شخصياته الشعرية أو كيفيتهُ في بناء تلك الشخصيات وصياغةِ حضورِها داخلَ النصِّ الشِّعري ، وتقومُ عمليّةُ خلقِ الشّخصيّاتِ على منهجٍ يُقدِّمُ به الشّاعرُ شخصيّةً ما في القصيدة، ويكونُ ذلك على إحدى طريقتين: إمّا أن يصفَ الشّاعرُ الشخصيّةَ وصفًا مباشرًا، وإمّا أن يُظهِرها من خلالِ أحداثِ القصيدةِ وتفاعلِها معَ المواقفِ والصّورِ الشِّعريّة ،وتعريف مصطلح الشخصية في البناء السردي بأنها «كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية» ، وتعريف آخر لها بأنها «مجموع صفات الشخص كما تبدو في علاقاته مع الناس، أو أنها مركب من صفات مختلفة تميز الشخص عن غيره خاصة من ناحية التكيف للمواقف الاجتماعية» ، والشخصية عنصر مهم في النص السردي، فلا يمكن أن يكون هناك نصّ سردي من دون شخصيات، «وليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات» ؛ لأنها تشكل العمود الفقري في العمل السردي .

أولى النقاد السرديون اهتماماً كبيراً بتقديم الشخصية في النص الروائي؛ لأنها عنصراُ اساسياً في بناء النص السردي، غير أن أساليب تقديم الشخصية في الرواية تختلف عن طريقة تقديمها في النص الشعري؛ لأن مجال الرواية في النثر أكبر وأكثر ملاءمة من الشعر ، والشاعر في شعره يقص قصة معينة، أما واقعية وقعت له، وأما اخترعها هو او استمدها من التراث وأفرغها في قصة شعرية ، شخصياتها ربما تكون انعكاسا لشخصيته، أو ربما شخصيات حقيقية قابلها وأعجب بها وامتدحها أو هجاها وانتقدها، لذلك فالشخصية تعبر عن فكرة المؤلف وهمومه ، وحرص الشاعر البسطي في قصائده على تناول الأحداث التي شكلت وتحولت في حياته، معتمداً أسلوباً قصصياً يتسم أحياناً بالسخرية والنقد تجاه بعض الشخصيات، وفي أحيان أخرى بالوعظ والإرشاد.

وفي ضوء ما تقدَّم سأتناول في هذه الدراسة التقنيّات والأدوات التي وظَّفَها الشاعر البسطي، في بناء الشخصية في شعره، وكيفية تقديمها للمتلقي.

ثانياً: (الشاعر)

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي البسطي الأندلسي ، أمّا نَسَبه فيرجع إلى قيس عيلان، لأن نسب قاسم بن هلال القيسي الأندلسي وأولاده إلى قيس عيلان، وهم من بني قيس بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، ولُقّب الشَّاعر عبد الكريم القيسي بلقب البسطي، أطلقه عليه الدكتور محمد بن شريفة ؛ ربما لأنه كان يعيش في بسطة، ولقّبه الدكتور محمود علي مكي بالغرناطي، في بحث بعنوان (عبد الكريم بن محمد القيسي الغرناطي) نشر في مجلة العربي الكويتية ، القيسي في «بَسْطَة، وتلقى فيها دراسته وتعليمه تخّول له أن يحظى ببعض المناصب الدينية كالإمامة والخطابة والتّوثيق والفتيا وعقد الشروط» ، وولد في بَسْطَة التي اشتهرت منذ القدم بطبيعتها الجميلة وخصوبة تربتها، ووفرة مياهها ، يبدو أن أفراد الأسرة القيسية البسطية في بسطة كانوا منشغلين بالعلوم والتوثيق ، وذكر في ديوانه عدد من أفراد أسرته على رأسهم والده «كان يدعوه بالمولى إجلالاً واحتراماً» ، وفي محنة الأسر يذكر زوجة له، وثلاثة أبناء، أبنين تؤأمين هما الحسن والحسين، وتوفيا معاً في وقت واحد، والأبن الثالث أسمه أحمد ، وتعرض البسطي إلى ثلاثة محن في حياته وتركت أثر في نفسه، ومنها: الأسر، أسر النصارى الشاعر وحملوه إلى مدينة آبرة، المحنة الثانية: إحراق حانوته مقّر عمله ومورد رزقه، ومحنته الثالثة: العزل، أي عزله من بعض الخطط مرتين: الأولى عزل من خطة التوثيق، والثانية عزل فيها من ولاية منطقة دولة بني الأحمر، وانعكس كل ما مر به في شعره، نجده يقدم الشخصيات المتألمه، والمعاتبه والشاكية والمتذمّرة والناقدة، ووصف بعضهم بالشيطان لجرأته وتطاوله ، أما ولادته فيقدرها د. محمد بن شريفة في كتابه البسطي؛ أنه ولد في «العقد الثاني من القرن التاسع الهجري» ، ولم نجد في الديوان تأريخاً يعين وفاته، لكنه بلغ الأربعين وذلك في قطعة شعرية يذكر فيها أنه بلغ الأربعين، فيقول:

دِنـــتُ بـالـجِـدّ، فـقـالـوا: عـكـسُـهُ مَـذْهـبٌ لـي، قـولُ قْـومٍ مُـفْـتـريـنْ
قـلـتُ: مـا أقـبـحَ عـكْـسَ الـجِـدّ لاَ سـيّـمـا بْـعـدَ بُـلـوغ الأرْبَـعـيـنْ

المبحث الأول
تَقدِيمُ الشَّخصِيَّةِ عن طَريقِ الوصف

يعد الوصف إحدى وسائل السرد المهمة التي يتوقف بها عند الأشياء والأماكن والهيئات، لذلك أهتم النقاد والأدباء بالوصف، وشغل القدامى كما شغل المحدثين، إذ إن قدامة بن جعفر يعرفه على أنه»ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات» ، أما المحدثون فتعريفهم أوسع شمولية وأكثر دقة، فهو عندهم»الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود، فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المتشابهه له أو المختلفة عنه» ، والوصف يعتمد على «عرض وتقديم الأشياء والكائنات والوقائع والحوادث في وجودها المكاني عوضا عن الزمني، وأرضيتها بدلا من وظيفتها الزمنية، وراهنيتها بدلا من تتبعها» ، والوصف من التقنيات التي استعملها الشاعر في تقديم الشخصيات في نصة الشعري، ومن هذه الشخصيات الممدوح، والمهجو، والمرثي، والحبيبة، التي قدمها في شعره، ومثال ذلك الشخصية التي قدمها الشاعر البسطي عن طريقِ الوصف مادحاً الشيخ الأستاذ أبا عبد الله البياني، (من الطويل) .

فَعِلْمُ أَبِي عَبْدِ الْإِلَاهِ مُسْلِمٌ وَعِلْمُ الَّذِي عَادَاهُ غَيْرُ مُسْلِمِ
وَمُعَلِّمُهُ فِي الْفَضْلِ لَا مِنْهُ مُعَلَّمٌ بَدَا فِي الْعُلَى مِنْ دُونِهِ كُلُّ مُعَلِّمِ
لَهُ وَجْنَةٌ فِي النَّائِبَاتِ مُنِيرَةٌ أَبَى عِلْمُهُ مِنْ غَيْبِهَا بِتَجَهُّمِ

إن الشاعر في هذا النص قدم شخصية الممدوح بأسلوب مباشر، فهو يذكر اسم الممدوح ابو عبد الالاه باسمه الصريح، المعلم الفاضل، والفقيه العارف الذي يمتلك علم واسع، وعالم في المسائل الدينية؛ وخصمه لا يمتلك كل هذا العلم، حتى أنه عالم بأسرار النائبات وتوقعه لحدوثها؛ لذلك وجنته لا تعرف التجهّم

ويستمر الشاعر البسطي برسمِ شخصيّة الممدوح وتقديمها عن طريق سرد صفاته، بقوله:

حَكِيمٌ كَلُقْمَانَ، جَمِيلٌ كَيُوسُفٍ وَلِيٌّ كَبَشَرٍ، زَاهِدٌ كَابْنِ أَدْهَمِ
شُجَاعٌ كَعَمْرٍو، مُقَدَّمٌ مِثْلَ خَالِدٍ كَرِيمٌ كَمَعْنٍ حَاكِمٌ مِثْلَ أَسْلَمِ

فقدم الشاعر شخصية الممدوح البياني عن طريق بيان مجموعة الصفات التي يتصف بها وتعدادها، معتمدا على (الصور البيانيّة) في ايصال معانيه إلى المتلقي (كالتشبيه)، وأنّ استعمال أدوات التشبيه في هذه الأبيات أراد بها الربط المباشر بين المعاني، وهذا التشبيه أفاد تقرير حال المشبه، وتمكينه في ذهن السامع ، من صفات الممدوح أنه حكيم، وصاحب

طلعة جميلة، ومؤمن، وزاهد في الدنيا، وشجاع وذو بأس وعزم شديدين، وكريم، وعادل، وشبهه بأعظم الشخصيات التاريخية والدينية، مما يجعله مثالاً للصفات الإنسانية الرفيعة، فقد حشد الشاعر هذه الصفات من أجل تقديم شخصية ممدوحه للمتلقي، واثارته وتعريفه بهذا الممدوح.

وفي قصيدة أخرى يمدح البياني ايضاً، ويصفه بقوله: (من البسيط).

وَاجْعَلْ رَئِيسَكَ فِي الصَّبْرِ الإِمَامَ أَبَا عَبْدِ الإِلَاهِ الْبَيَانِيَّ خَيْرَ مَن رَأْسَا
ذَا الْحِلْمِ وَالصَّفْحِ وَالْعِلْمِ الَّذِي بَهَرَتْ أَنْوَارُ أَنْوَاعِهِ مِنْ ظِلِّ مُقْتَبَسَا
قَسِ الْفَصَاحَةَ إِنْ وَافَيْتَ مُسْتَمِعًا مَعْنَ السَّمَاحَةَ إِنْ يَمَّمْتَ مُلْتَمِسَا
إِنْ جَادَ جَادَ كَمِثْلِ اللَّيْثِ مُنْسَكِبًا أَوْ صَالَ صَالَ كَمِثْلِ اللَّيْثِ مُفْتَرِسَا

يُظهر الشاعر الإمام البياني قائد مثالي، يجمع بين الصبر والحلم والعلم والفصاحة والسماحة والكرم والشجاعة، ومن الصور البيانية تشبه الشاعر للممدوح بالأسد في جوده وشجاعته، مما يجعل تلك الشخصية جديرة بالاحترام والاقتداء.

من الأدوات التي تستعمل في تقديم الشخصية عبر الوصف «المنصب على الشخصيات والأشياء والأماكن التي تنتمي إلى سيرورة السرد» ، ويسرد الشاعر صفات شخصية ممدوحه القاضي الرئيس الفاضل أبا حامد بن الحسن، (من مجزوء الرمل).

وَإِذَا مَا نَالَكَ الدَّهْرُ بِضَيْمٍ أَوْ بِهَضْمِ
فَتَعَلَّقْ بِأَبِي حَامِدٍ يَنْصُرُكَ وَيَحْمِي
هُوَ قَاضٍ لَيْسَ يَخْفَى عَدْلُهُ فِي فَصْلِ حُكْمِ

نلحظ في هذا النص أن الشاعر قدَّم شخصية (أبي حامد)، ووصفه بالعدل ونصرة المظلوم، كما شكا له ما وصل إليه من ظلمٍ، بسبب من منعه وسلب حقَّه. وقدَّم النصح لمن يعاني من سلب حقوقه بأن يلجأ إلى أبي حامد؛ لأنه سيساعده، وينصره، ويحميه؛ لكونه قاضيًا عادلًا.

وفي موضعٍ آخر، نجد الشاعر يقدِّم لنا ملمحًا خارجيًا، من خلال عرضه شخصية ابن القاضي (أحمد بن الحسن)، واصفًا جماله الخارجي المتمثل في هيئته، وجماله الداخلي المتمثل في أخلاقه الحميدة وصفاته الطيبة، كما ورد في شعره. (من الطويل).

انتَ الذي أحرزتَ كلَّ فضيلةٍ وشفّعتها قدماً بحسنِ إيادِ
رفعتَ لواءً من جمالِكَ باهِرًا فراقَ جفوني فهي حلفُ سُهَادِ
أبت أنْ ترى حسنًا سوى حسنِ وجهِكم كما قد أبت حقًا لذيذَ رقادي

خاطب الشاعر في هذه الأبيات ممدوحهِ بضمير المخاطب المنفصل (أنت)، وهذا خطاب مباشر، واصفاً شخصه الكريم بامتلاكه كل الصفات الحميدة عبر عن ذلك بكلمة (وشفّعتها) تعني أنه دعم كل الفضائل بأعمالهِ الطيبة، ثم يصف جماله. ويختم قصيدته بأبيات منها، هذا البيت الذي يناشد فيه الشاعر ممدوحه ابن القاضي طالباً منه الرحمة .

حنانيكَ بي يا أجملَ الناسِ مهجةً وأزكاهمُ جودًا بغيرِ نفادِ

وصف شخصية ابن القاضي وصفاً مادياً ومعنوياً من خلال هذا البيت الذي يطلب فيه الرحمة منه، ومتأكد من عطاياه وكرمه؛ لأنه أكثر الناس كرماً وعطاءً.

ويستمر البسطي برسم شخصيّة ممدوحة الأديب محمد بن الازرق، وتقديمها عن طريق سرد صفاته قائلاً ، (من الرمل)

كَمُلَ الأُنسُ لَنا في بَسْطَةٍ بِأَبي عَبدِ الإِلَهِ الأَزرَقِ
واجتَلَبْنا طَرَفًا مِن نَظْمِهِ نَحنُ مَعَهُ في مَعاني الأَبرَقِ

قدَّم الشاعر شخصية محمد الأزرق، مبرزًا فصاحته وبلاغته في نظم الشعر، مشيرًا إلى تأثير شعره في المتلقي، إذ يُدخل السرور إلى النفوس ويُضفي على المجلس أجواء البهجة والإعجاب، لما يتمتع به من أدب رفيع.

نرى في أبياتٍ أخرى أن الشاعر قدَّم شخصية القاضي الخطيب أبي عمرو بن منظور، حينَ وَرَدَ إلى بسطة وادي آش، يطلب من أهلها دعم مدينة مالقة بما تيسَّر من مالٍ وطعام، بعد تأكُّد نبأ خروج طاغية قشتالة لحصارها. وقد وظَّف البسطي في هذه الأبيات الأسلوب السردي لتقديم الشخصية، قائلًا : (من الكامل)

الزَّعِيمُ آدَابٌ وَعَدْلٌ فِي الْقَضَا قَاضِي الْهَوَى بِثُبُوتِ حُبِّكَ قَدْ قَضَى
مَنْ ذَا يُعَارِضُ رَأْيَهُ فِي حُكْمِهِ فَرِضًا بِمَا سَبَقَ الْقَضَاءُ بِهِ قَضَى
حَسْبِي إِذَا مَا الْقَلْبُ أَضْحَى مُغْرَمًا بِهَوَاكُمْ وَالطَّرْفُ مَا إِنْ غَمَضَا
أَهْوَى مِنَ الْآدَابِ بَعْضَ خِلَالِهِ وَالْعِلْمُ فِي ذَا الْعَصْرِ أَوْ فِيمَا مَضَى
وَإِذا سَأَلْتَ أَجَبْتُ عَنهُ إِنَّهُ القاضي ابنُ مَنظورٍ أَبو عُمَرٍ وَالرِّضا
باني العُلى بِما حَوى مِن سُؤدُدٍ لأُولى الصَّفا بِما يُودُّ ويُرتَضى

يُقدِّم البسطي شخصية القاضي ابن منظور من خلال مزج الوصف المباشر بالحوار غير الصريح، مبرزًا صفاته القيادية المتمثلة في القوة، والعدل، والحكمة. ويُضفي على شخصية ممدوحه طابعًا إنسانيًا نابضًا بالحيوية، من خلال أسلوب حواري يتّخذ شكل استجابة لسؤال افتراضي عن هويته، مما يعزز تفاعل المتلقي مع النص. كما يوظف الشاعر وصف الحب تعبيرًا

عن إخلاصه العميق، ويؤكد من خلال ذلك مكانة القاضي الرفيعة وسموّ أخلاقه، باعتباره رمزًا للمجد والقيم النبيلة.

وقد عبّر البسطي عن نقده الشديد لقاضي بسطة ابن مفضل، مستخدمًا أسلوبًا ساخرًا ومباشرًا، يستنكر فيه ما عدّه تجاوزًا للشرع وتبديلًا لأصول القضاء. ويُبرز في هذه الأبيات مفارقاتٍ حادة بين السلوك القضائي المألوف وما صدر عن هذا القاضي، كما يظهر في قوله : (من الكامل)

تَـبًّـا لِـقَـاضِـي بَـسْـطَـةٍ ابْـنِ مُـفَـضَّـلٍ تَـبًّـا لَـهُ فِـي يَـرُوحُ وَيَـغْـتَـدِي
فَـلَـقَـدْ أَتَـى مِـنْ حُـكْـمِـهِ بِـعَـجَـائِـبَ أَمْـثَـالُـهَـا فِـي عَـصْـرِنَـا لَـمْ تُـعْـهَـدِ
فَالسِّجْنُ عِنْدَ سِوَاهُ مَعْرُوفُ الْمُحَلَّلِ وَعِـنْـدَهُ فَـالسِّـجْـنُ جَـوْفُ الْـمَـسْـجِـدِ
وَيَـرَى الـنِّـكَـاحَ بِلا صِـدَاقٍ جَـائِـزًا رَأْيَ الْـغَـوِيِّ الْـجَـاهِـلِـيِّ الْـمُـلْـحِـدِ
وَيُـغَـيِّـرُ الْأَحْـكَـامَ عَـمَّـا أُصِّـلَـتْ تَـغْـيِـيـرَ جَـبَّـارٍ عَـنِـيـدٍ مُـعْـتَـدِ

يصوّر البسطي قاضي بسطة ابن مفضل عبر وصف هجائي مباشر، يكشف من خلاله انحرافه عن معايير القضاء والشرع. يبدأ بتعبير غاضب متكرر يُمهّد لنقد ساخر، ويُظهر القاضي كمصدر لأحكام غريبة، كتحويل المسجد إلى سجن، والسماح بالنكاح بلا صداق، وتبديل الأحكام بلا ضوابط. يستخدم البسطي لغة صريحة حادّة، ليُسقط من خلالها صورة القاضي في ذهن المتلقي، دون اللجوء إلى التلميح أو الحوار.

يستكمل البسطي رسم صورة ابن مفضل من خلال إبراز تساهله غير المقبول في الأحكام الشرعية (من الطويل)

أُمـبْـتُـوتَـةٌ تَـهْـوَى الـرُّجـوعَ لِـزَوجِـهـا عَـلَـيْـكَ بِـقاضي بَسْطةٍ ابنِ الـمُفَضَّلِ
تَـجِـدْ قـاضِـيًا ذا مَـذْهَـبٍ غَـيْـرِ ضَـيِّـقٍ يُـجِـيـزُ بِلا تَـقْـوى نِـكَـاحَ الـمُـحَـلِّـلِ

يُظهر تساهله في تطبيق الأحكام الدينية عبر وصف مباشر، حيث يشير إلى امرأة «أمبتوتة» أي مطلقة ثلاثًا ترغب في الرجوع إلى زوجها الأول. يُصوَّر القاضي كميسّر لنكاح المحلل، وهو زواج شكلي مؤقت يُبرم لتجاوز حكم الطلاق الثلاث، دون التقيد بالضوابط الدينية، مما يعكس انحرافه عن مبادئ الشرع.

وفي نص آخر يستخدم البسطي وصفًا ساخرًا لتقديم شخصية الفقيه، بقوله: (من مجزوء الكامل)

الـكـلـبُ صـارَ بـبـسـطـةٍ أعـلـى وأشـرفَ مـن فـقِـيـهْ
أنَّـى فـقـيـهٍ يـعْـتـلِـي لـمـحـلِّـهِ أو يـرتـقـيـهْ؟
الـكـلـبُ مـالِـكُـهُ بـهـا مـن كـلِّ مـا يـخـشـى يـقـيـهْ

وفقيهُها من أهلِها ما ساءَ منهم يتّقيهْ
فتراهُ عندَ خروجهِ يَرْتاعُ مِمَّنْ يلتقيهْ
أفعاقلٌ يَرضى بها وطنًا لسُكنى يَنْتِقيهْ؟

في هذه الأبيات، يصور البسطي شخصية الفقيه بوصف ساخر ومباشر يُبرز هوانه وقلة مكانته، مقابل مكانة الكلب التي تظهر أعلى منه. كما يوضح ضعف الفقيه وخوفه من الناس، مما يعكس محدودية هيبته الاجتماعية، ويُعبّر بذلك عن أثر المحن والضغوط التي تعرض لها من الفقهاء خلال حياته.

وفي نص آخر استهلّ الشاعر المشهد بتشبيه الغلام بالنبي يوسف عليه السلام، وهو تشبيه يحمّله دلالةً مزدوجة: الجمال الفائق والمهابة الروحية، اذا يقول : (من المتقارب)

لقيتُ المليحَ وفي كفِّهِ عمودٌ من الشمعِ لا يُوصَفُ
فقلتُ وقد راقني حُسنُهُ عليكَ السلامُ أيا يُوسُفَ

تُقدَّم شخصية «المليح» عبر وصف رمزي موجز، يتمثل في حمله عمودًا من الشمع، في إشارة إلى الجمال والنور. وقد شبهه بالنبي يوسف(عليه السلام)، مما أضفى على الشخصية بُعدًا روحيًا وجماليًا.

المبحث الثاني
تَقدِيمُ الشَّخصِيَّةِ عن طَرِيق الحوار

ينهض النص القصصي في إطار تشكيله الجمالي على مجموعة من تقنيات السرد المتنوعة، والحوار أحد أهم هذه التقنيات التي التجأ اليها الشاعر البسطي، ويعد الحوار من أهم عناصر القصة والوسائل السردية المتبعة فيها ، ولا يشترط أن يجرى الحوار بين شخصين، يمكن أن يكون بين مجموعة من الاشخاص، أو بين الشخص ونفسه، أو أي كلام دائر في القصة تقع عليه المسؤولية نقل الحدث من نقطة إلى أخرى، داخل النص السردي ليوصل أفكار القصة ويُعزز تناغم أحداثها ، يؤدي الحوار في النصّ الأدبيّ وظائف عدّة، ويُسهم في إضفاء مسحة واقعيّة ومصداقيّة على الحدث، وكذلك يسهم بالكشف عن أفكار الشخصيّات وعواطفها وطبائعها ، وفي ضوء دراستي للشخصية في شعر البسطي لاحظت حضور الحوار تقنية من تقنيات السرد، وهو يُقَدِّمُ عدداً من الشخصيات في قصائده، من ذلك تقديمه شخصيّة القاضي أبي حامد بن الحسن، إذ يعمد الشاعر إلى محاورته بأسلوب مباشر يكشف عن موقفه منه، كما في قوله: (من الرمل)

فَشَكَوْتُ الحُبَّ وَالهَجْرَ لَهُ ... إذْ رَأَيْتُهُ لِحَالِي قَدْ فَطِنْ
قُلْتُ رَفَقًا بِي فَإِنِّي هَالِكٌ ... قَالَ لي مَا عَنكَ رَفْقِي يَخْتَزِنْ
قُلْتُ جِدْ لِي بِالرِّضَى يَا مَالِكِي ... قَالَ لي مَا لِلرِّضَى عِندِي ثَمَنْ
قُلْتُ إِنِّي أَتَمَنَّى قُبْلَةً ... قَالَ خَدِّي لَكَ مَلَكٌ مِذْ زَمَنْ
قُلْتُ فَانْعَمْ لِي بِهَا مُسْتَعْجِلًا ... قَالَ خُذْهَا هَنِيئًا دُونَ مَنْ
قُلْتُ لَوْ بَتَّ مَعِي يَا سَيِّدِي ... قَالَ لي ذَاكَ إذا اللَّيْلُ دَجَنْ
قُلْتُ: كُنْ لِي عِندَمَا أَوْعَدْتَنِي ... قَالَ وَعْدِي لَكَ خَالٍ مِنْ دُخَنْ
فَأَتَانِي وَالدَّجَى مُنْسَدِلٌ ... وَالرَّقِيبُ عَنْ حَمَاهُ قَدْ ظَعَنْ
يَتَهَادَى كَعَرُوسٍ أَقْبَلَتْ ... تَسْحَبُ الأَذْيَالَ مِنْ وِشْيٍ عَدَنْ
فَسَقَانِي الخمرَ شُهْداً من فمٍ ... زانَه درٌّ به قَدِ اقْتَرَنْ
وشَفَانِي مِنْ غرامٍ شَفَّنِي ... لم أخِلْهُ يُورِثُ الخسمَ الوهَنْ
وأتاحَ الأُنسَ لَمَّا زارنِي ... فلَهُ الشُّكرُ المُوفَّى والمِنَنْ
بينما شَمْلِي به مُنتَظِمٌ ... وفؤادي مِنْ جَواهُ قد سَكَنْ

في هذه الأبيات، يتجلّى شخصية الشاعر كذات متألمة مثقلة بمعاناة الأسر والفقر، تتوسل الرحمة والرضا بأسلوب متكرر يعكس تمسكه بالأمل ورغبته في التخفيف من ألمه. أما القاضي، فيُعرض في البداية كشخصية صارمة وجافة تعبر عن موقف حازم وبرود تجاه توسلات الشاعر، إلا أن الحوار يكشف تطورًا تدريجيًا في شخصيته، فتنتقل من الرفض إلى العطاء والرحمة، ما يمنح النص بعدًا دراميًا. كما تساهم تكرارات «قال» و«قلت» في تعزيز حيوية الحوار، وإبراز التفاعل النفسي بين الطرفين، مما يجعل من الحوار أداة فنية فاعلة في رسم ملامح الشخصيات بطريقة معبرة.

يقدم الشاعر شخصية التلمساني، في سياق مدحيّ يُبرز مناقبه، بقوله: (من الطويل)

فَإِنْ قِيلَ مَن هَذَا الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ أَقُولُ أَبُو عَبْدِ الإِلَاهِ التِّلِمْسَانِي
سَلِيلُ القُضَاةِ المُطَغْرِيِّينَ رِفْعَةً فَدَعْ ذِكْرَ لَخْمٍ أَو جُذَامٍ وَغَسَّانِ

يعتمد الشاعر على أسلوب الحوار الاستفهامي التقريري لتقديم شخصية الممدوح، إذ يفتتح بسؤال افتراضي، ليجيب مباشرة بتحديد اسمه وفضله. ويعزّز مكانته بربطه بسلالة القضاة «المطغريين»، فينتقل من مدح فردي إلى تمجيد نسب اجتماعي، مشيرًا إلى أن الممدوح تجاوز أغلب الأنساب العريقة. وبهذا يُوظَّف الحوار لتأكيد تفرد الشخصية وعلوّ شأنها.

وفي إطار توظيف الشاعر للحوار بوصفه أداة لمساءلة الآخر ومطالبته، يخاطب حابس المرتبي قائلاً: (من البسيط)

مَاذَا تَقُولُونَ لِي يَوْمَ الحِسَابِ إِذَا طَلَبْتُ حَقِّي لَكُمْ فِي وَاجِبِ الطَّلَبَهْ
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا بَيْنَنَا حَكَمٌ يَقْضِي عَلَيْكُمْ بِهِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَهْ
هُنَاكَ أَسْلُبُكُمْ مَا تَقَدَّمُونَ بِهِ مِنْ حُسْنِ أَعْمَالِكُمْ فِي جُمْلَةِ السُّلْبَهْ

يُبرز الشاعر، من خلال الحوار الاستفهامي، شخصيةَ حابس المرتبي بوصفها كيانًا صامتًا. فالحوار يُبنى على خطاب اتهامي، يُجسّد فيه الشاعر تفوّقًا قيميًّا وأخلاقيًّا، في مقابل شخصية مهزومة أخلاقيًّا، متخلّية عن مسؤولياتها، وقد خضعت لحُكم رمزي صادر عن صوت الضحية.

وفي نص آخر قال الشاعر حين بلغه سقوط جبل الفتح، معبرًا بحوارٍ شعري عن حزنه: (من الطويل)

وقائلةٌ: مالي أراكَ مُقَطِّبًا كأنكَ للتَّقطيبِ هُدِّدْتَ بالذَّبحِ
وعهدي – ولا أُخفي صفاتٍ عرفتُها– تَسُرُّ بما تُبدي من البِشْرِ والسَّمْحِ؟
فقلتُ: دعيني، الحُزْنُ فرضٌ على الوَرَى أما قد حَوَى أعداؤُنا جبلَ الفَتْحِ؟
حَرامٌ علينا البِشْرُ والسَّمْحُ بعدَهُ وفي القلبِ من آلامِهِ أعظمُ الجُرْحِ

يتّخذ الشاعر موقع الراوي بضمير المتكلم، ويُقدّم شخصيته من خلال حوارٍ شعريّ مع امرأة تستغرب تغيّر ملامحه، بعدما كان معروفًا بالبشر والسماحة. ويأتي رده ليُفصح عن حزنه العميق إثر سقوط جبل الفتح، كاشفًا بذلك عن شخصية متألمة، ترفض التظاهر بالفرح في لحظة الانكسار.

يقول الشاعر في إطار حوارٍ وجدانيّ، يُعبّر فيه عن شوقه وقلقه تجاه وعد الوصال: (من الوافر)

شكوتُ له الهوى وسألتُ منه ... بتعجيلِ الوصالِ بقاءَ روحي
فواعدَني به وعدًا جميلًا ... سُرِرتُ بنيلِ متجرِهِ الرَّبيحِ
وقال: أعددْ فديتُكَ وعدَ وصلٍ ... ولا تَرْتَبْ من الخبَرِ الصَّحيحِ
فقلتُ: أخافُ من إخلافِ وعدي ... فقالَ مؤكِّدًا: لا والمسيحِ
فقلتُ له: متى تَنعَمْ بوصلي ... فإنِّي نحوَ وصلكَ ذو جُنُوحِ؟
فقالَ لي: ارْتَقِبْ وصلي متى ما ... تكونُ إليهِ-دَهْرُكَ-ذا طُموحِ
فقلتُ له: أريدُ الوصلَ يومي ... على رغمِ العدوِّ لَكَ النَّصِيحِ
فأنعِمْ لي بها إنعامَ سَمْحٍ ... جوادٍ غيرِ ذي بخلٍ شحيحِ

تعتمد هذه الأبيات على تقديم الشخصية من خلال حوار مباشر بين الشاعر والمحبوب، حيث يُبرز الشاعر، من خلال تعبيره عن الشوق والقلق النفسي، حالة التوتر والتلهف التي تعتريه، في مقابل تأكيد المحبوب على صدق وعد الوصال وطمأنته. يتيح هذا الحوار استكشاف الأبعاد النفسية والعاطفية للشخصية، ويُبرز إلحاحها وأملها في تحقيق اللقاء.

تكرّر أسلوب تقديم الشخصية عبر الحوار المباشر في ديوان الشاعر، لما له من دور بارز في كشف أبعادها النفسية والفكرية. وباختصار ولتجنّب الإطالة، أكتفي بهذه النماذج، مع الإشارة إلى الصفحات التي وردت فيها نماذج حوارية أخرى .

المبحث الثالث
تَقدِيمُ الشَّخصِيَّةِ عن طَريق السرد

يشكّل السرد الأداة الرئيسة التي يعتمد عليها الشاعر في تقديم الشخصيات، ونقصد بالسرد»المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث، أو خبر أو أخبار، سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال» ، وللبنية السردية ثلاث محاور، هي الراوي، والمروي، والمروي له ، وما يهمنا في هذا المحور هو الراوي، الشخص الذي يقوم بالسرد(السارد) ، ويؤدي السرد ضمن الخطاب الأدبي مجموعة من الوظائف المتداخلة، أبرزها وظيفة التنظيم والتنسيق التي تُسهم في ضبط البنية السردية، إلى جانب الوظيفة الإبلاغية التي تتجسد في إيصال الرسالة إلى المتلقي، سواء أكانت الرسالة ذات طابع أخلاقي، إنساني، أو معرفي. كما يضطلع السرد بوظائف أيديولوجية وتعليقية، تتصل بدور الراوي في تأويل الأحداث وتفسيرها، فضلًا عن وظائف أخرى كالإفهامية، والانطباعية، والانتباهية، والاستشهادية، التي تُعزّز من فاعلية التلقي وتكثيف الأثر الدلالي للنص ،يشكّل السرد أداة بارزة في قصائد الشاعر، إذ يُسهم في تقديم الشخصيات من خلال تتبّع أفعالها، كما في عرضه لشخصية إبراهيم عبر سرد ما قامت به من أفعال، ويكشف سرد المؤلف الأبعاد الأخلاقية للشخصيات، ويُظهر مواضع قوتها وضعفها ، (من البسيط)

قالوا ابنَ عمِّكَ إبراهيمَ قد اعتدى ... سَفَهًا على ابنِكَ بالإفراطِ في الأدبِ
فخُذْ على يَدِهِ وامنعْ تَعَدِّيَهُ ... من قبلِ عَودَتِهِ والحدِّ للعَطَبِ
فقلتُ: مَن لي بكلبِ السوءِ أزجُرُهُ ... فيقبلُ الزَّجرَ وهو الفَذُّ في الكَلبِ
واللّهِ ما عن قبيحٍ رُمتُ أصرفُهُ ... إلَّا تأبَّى وأبدى الجِدَّ في الطَّلَبِ
ومن يكونْ لهُ مِن نفسِهِ أبدًا ... قرينُ سوءٍ فما ينفَكُّ في تَعَبِ

يعتمد الشاعر في تقديم شخصية «إبراهيم» على بنية سردية، يصوّره من خلالها بكلب السوء، كاشفًا عن طباعه عبر موقف واقعي. يبدأ بعرض أقوال من يطالبونه بردعه بعد اعتدائه على ولده، ثم يُبيّن عجزه عن إصلاحه لفساد طبعه وتمرده. ويتدرّج الحدث من الشكوى إلى الطلب، ثم إلى التبرير، مما يجعل السرد الأداة الأساسية في رسم ملامح الشخصية.

وفي نص آخر ويُقدِّم الشاعرُ شخصيةَ قتادة من خلال سردِ واقعةٍ إعجازية، تُجسِّد معجزة النبي ﷺ ،(من الكامل)

[وأعـــادَ] عَـيْـنَ قَـتـادَةَ، مِـن بَـعْـدِ ما سـالَـتْ، وصـــارَتْ بِـفَـقْـدِهـا مِـعْـوارًا

في هذا البيت قدّم الشاعر شخصية قتادة عبر السرد بإبراز واقعة معجزة تاريخية حيّة، حيث سرد لحظة إعادة النبي ﷺ لعين قتادة بعد سقوطها في غزوة أحد، بيده الشريفة، فردّها، فكانت أصحّ عينيه، فحوّل الحدث إلى مشهد حيّ يُبرز فضل الصحابي ومكانته، مستخدمًا السرد كوسيلة لربط الشخصية بالسياق الديني والتاريخي.

ويعتمد البسطي في أغلب قصائده على السرد الذاتي لتقديم الشخصيات، حيث يتصدر السرد بشخصيته، كاشفًا من خلاله عن ملامح شخصيته وعلاقته بالآخرين، مما يمنح النص بعدًا دراميًا وإنسانيًا .ونجد ذلك في قوله : (من الطويل)

نُـحـولٌ وَدَمـــعٌ وَاِصْـفِـرارٌ وَزَفْـــرَةٌ شَـواهِـدُ صِـدقٍ لِـلـعَـدالَـةِ تَـنتَـمي
وأَعـجَـبَ عُـبّـادُ الـصَّـلـيـبِ صَـبِـيَّـةٌ سَـبَـتْـنـي بِـوَجـهٍ مِـثـلِ بَـــدْرٍ مُـتَـمَّـمِ
فَـبِـتُّ حَـليفَ الـهَـمِّ مِـن فَـرطِ حُـبِّـها وَبـاتَـتْ بِـهَـجْـري فـي فِـراشٍ مُـنَـعَّـمِ
وَكَـم نَـعَّـمَـتـنـي مِـن لَـذيـذِ وِصـالِـهـا بِـمـا لَـم تَـصِـلْ نَـفـسـي لَـهُ بِـتَـوَهُّـمِ
وَقَـد نَـطَـقَ الـنّـاقـوسُ فَـوقَ كَـنيسَةٍ بِـكَـفٍّ مُـعْـنٍ مُـولَـعٍ بِـالـتَّـرَنُّـمِ
وَأَفْـصَـحَ قِـسّـيسُ الـمَـعـاجِـمِ جـاهِـرًا بِإِنـجـيـلِ روحِ اللّـهِ عيسَى بـنِ مَـرْيَـمِ
وَمَـدَّ غَـرابَـةُ الـلَّـيـلِ ريـشَ جَـنـاحِـهِ فَـطـارَ حَـمـامُ الـضَّـوْءِ ريـشًـا بِأَسْـهُـمِ
وَأَتْـرابُـهـا خَـوفَ الـرَّقـيـبِ الـقَـواطِـعِ يُـحـاذِرنَ مِـن إتـيـانِـهِ فَـوقَ أَدهَـمِ
وَمـالَـتْ بِـفَـرطِ الـسُّـكـرِ وَهـيَ مَـريـضَـةٌ كَـمَـيْـلِ الـصَّـبـا صُـبـحًـا بِـغُـصْـنٍ مُـنَـعَّـمِ
وَلَـــولا عَـفـافـي وَاتِّـــقـــاءُ عِـتـابِـهـا تَـمَـتَّـعـتُ مِـنـهـا بِـالـمَـحَـلِّ الـمُـحَـرَّمِ

في هذا النصّ الشعري، يُقدَّم الشاعر بوصفه شخصية مأزومة عبر بناء سردي يتّكئ على الوصف الجسدي والنفسي، يعمد إلى إعادة دمج أقوال الشخصيات ضمن سياق جديد يُغيّر دلالاتها الأصلية، ويُوظّفها لتحقيق أهداف مغايرة لما وُضعت له ، إذ يفتتح النص بإشارات إلى النحول، والدمع، والاصفرار، والزفرات، وهي جميعها علامات تكشف عن معاناة داخلية شديدة، تُدلّ على تجربة الأسر وظروف القهر التي يعيشها الشاعر في ظلّ سلطة قمعية. ولأنّ البوح المباشر غير متاح، اعتمد على خطابٍ غير صريح يُفصح من خلاله عن ملامح شخصيته. ويتخذ السرد منحًى عاطفيًّا حين تُستحضر صورة الصبية الجميلة التي «أعجبت عباد الصليب»، حيث تتحوّل العلاقة معها من التقرّب إلى الهجر، بما يعكس حالة من الانكسار العاطفي، وتُقدَّم من خلالها شخصية الشاعر في صورة مَن يعاني الخذلان، وتتذبذب حالته بين التعلّق والانكسار. تعاني الشخصية المركزية من اضطرابات نفسية، ويُبرزها عندما يسلط الضوء على

أعماقها، غالبًا عبر السرد الذاتي، حيث يكون هو السارد والمعبر عن حالتها الداخلية .وهذه الصبية تتجاوز وظيفتها العاطفية لتغدو رمزًا مركّبًا؛ فهي تمثّل، من جهة، المحبوبة، ومن جهة أخرى، تتجسّد كرمز للسلطة أو الحرية الموهمة التي تُغري ثم تتخلّى. كما تتعدّد الشخصيات الثانوية في النص، مثل «القسيس»، و«الناقوس»، و«الرقيب»، لتُسهم في تشكيل فضاء سردي قائم على الرقابة والمنع والمراقبة، وهي جميعها رموز تعزّز من إحساس الشاعر بالقيد والعجز.

وفي نص آخر يبدأ الشاعر الموشح بسردٍ يقدّم من خلاله شخصية «الصنف» عبر تجربة خيانة (من البسيط)

إِسَاءَةُ الصَّنْفِ فِي النَّفِيسِ قَدْ فَجَعَتْ وَالقَلْبُ قَدْ صَدَعَتْ وَالظَّهْرُ قَدْ قَطَعَتْ
وَقَائِلٌ قَالَ لَوْ أَقْوَالُهُ سُمِعَتْ قَابِلْ أَخِي سَقَطَاتِ النَّاسِ إِنْ وَقَعَتْ
يَوْمًا بِعَفْوٍ وَإِغْضَاءٍ وَإِغْمَاضِ
فَقُلْتُ وَالنَّفْسُ لَمْ تَجْنَحْ لِمَذْهَبِهِ وَقَدْ رَأَتْ مَا رَأَتْهُ مِنْ تَجَنُّبِهِ
يَا قَلْبُ صَبْرًا لِصِنْفٍ فِي تَحَزُّبِهِ فَلَسْتَ تُبْصِرُ مَا تَرْجُو السُّرُورَ بِهِ
لَا مِنْ خَطِيبٍ وَلَا شَيْخٍ وَلَا قَاضِ
حَسِبْتُهُمْ عِدَّةً مِنْ أَفْضَلِ العَدَدِ وَاسْتَمْسَكْتُ بِهِمْ دُونَ الأَنَامِ يَدِي
حَتَّى انْجلَى أَنَّهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الحَسَدِ إِذَارَأَوْا نِعْمَةً لاَحَتْ عَلَى أَحَدِ
أَضْحَى الجَمِيعُ وَمَا مِنْهُمْ بِهَا رَاضِ
كَبِيرُهُمْ بِالحَشَا مِنْ حِقْدِهِ مَرِضِ بِالشَّرِّ مُتَبَسِّطٌ بِالخَيْرِ ذِي مِقْبَضِ
وَإِنْ أَصْغَرُهُمْ بِالسُّوءِ مُعْتَرِضِ فَهَجْرُهُمْ وَاجِبٌ عَلَيَّ مُفْتَرَضِ
وَالحَقُّ إِنْ يَلْتَقُوا يُلْقَوْا بِإِعْرَاضِ

يعتمد الشاعر في بناء الشخصية على تسلسل سردي يتخذ من التجربة الذاتية نقطة انطلاق، حيث تُفتتح القصيدة بحالة من الانكسار العاطفي سببها خيانة غير متوقعة من أشخاص كان يضع فيهم ثقته. وتتطور البنية السردية إلى حوار يحمل دعوة للتسامح، إلا أن هذه الدعوة تُرفض بفعل ما تراكم في النفس من تجارب سابقة. ومن خلال هذا المسار التصاعدي للأحداث، تنجلي صورة الشخصيات بوصفها كيانات تتسم بالحسد والتقلّب والتظاهر بالولاء.

يُقدِّم الشاعر شخصيّته من خلال سردٍ ذاتي يكشف معاناته وثباته أمام الظلم، فيقول في قصيدته : (من الطويل):

وَدَدْتُ أُنَاسًا لَم يُرَاعُوا الوِدادَ لي وما سِمْتُهُمْ بِسوءٍ حَبَّةً خَرْدَلِ
وأَذْكُرُهُمْ سِرًّا وجَهْرًا وإنْ جَفَوا وأَبْدَوْا عَظيمًا لَيْسَ بِالمُتَحَمِّلِ

وأَمُّـــوا جـميـعًـا بِـــالإذايَـــةِ الـجـانِـبِ عَـلـى غـيـرِ ذَنْـــبٍ لِلأذى بِـمُـحَـلِّـلِ
سِـوَى أَنَّـنـي أَصْـبَـحْـتُ لِـلْـحَـقِّ نـاصـرًا ولَـم أَلْـتَـفِـتْ مِـنْـهُـمْ إلـى عَـذْلِ عُـذّلِ
وهـم فِـي أَذاهُـــمْ فِـرْقَـتـانِ إِلَـيْـهَـمـا قَـدِ انْـقَـسَـمُـوا لِـلـنَّـاظِـرِ الـمُـتَـأَمِّـلِ
فـمـنْ مُـكْـثِـرٌ فِـيـمَـا اسْـتَـحَـلَّ مِـنَ الأَذى وَدانٍ إِلَـــى مُـسْـتَـهْـزِئـاً أَوْ مُـقَـلِّـلِ
فَـهـذا أَذَاهُ بِـالـلِّـسَـانِ قَـدِ انْـجَـلَـى وَذا بِـالْـيَـدِ الـــشَّـلَّاءِ لِـلْـعَـيْـنِ يَـنْـجَـلِـي
كَأَنَّ الأَذى مَـفْـرُوضُـهُ وَاجِـبُ الأَدَا عَـلَـيْـهِـمْ وَلَـيْـسَ الـفَـرْضُ مِـثْـلَ الـتَّـنَـفُّـلِ
وقد أَفْـرَطُـوا فـي ذَاكَ حَـتَّـى حَـسِـبْـتُـهُـمْ سُـكَـارَى عَـنِ الـعَـقْـلِ الـشَّـرِيـفِ بِـمَـعْـزِلِ
وجَـــاءُوا مِـنَ الـفِـعْـلِ الـقَـبِـيـحِ بِـمَـا لَـهُ وَلا عَـجَـبٌ تَـنَـهَّـدَ أَرْجَـــاءُ مَـرْبُـلِ
وَإِنْ أَحْـرَقُـوا حَـانُـوتَ مِـثْـلِـي تَـعَـدِّيًـا فَـلَـمْ يُـحْـرِقُـوا مِـنْـهُ سِـوَى طِـيـبِ مَـنْـزِلِ
أَنَـا الـذَّهَـبُ الإِبْـرِيـزُ بِـالـنَّـارِ قِـيـمَـتِـي لَـدَى الـخَـبْـرِ عِـنـدَ الـنَّـاسِ تَـسْـمُـو وَتَـعْـتَـلِـي
فَإِحْـــرَاقُ حَـانُـوتِـي لِـتَـنْـحَـطَّ رُتْـبَـتِـي يَـعُـودُ عَـلَـيْـهِـمْ بِـانْـعِـكَـاسِ الـمُـؤَمَّـلِ
فَـقَـدْ كَـانَ لِلأَحْـكَـامِ مَـجْـلِـسُـهَـا الَّـذِي تُـصَـانُ بِـهِ مِـنْ مُـفْـسِـدٍ أَوْ مُـبَـدِّلِ
فَـغَـارُوا عَـلَـيْـهِ وَالـقَـضَـاءُ يَـقُـودُهُـمْ إِلَـى أَنْ أَتَـوْا لَـيْـلًا إِلَـيْـهِ بِـمِـشْـعَـلِ
فَـنَـالُـوا الـمُـنَـى مِـنْ حَـرْقِـهِ عَـنْ سَـرِيـرَةٍ سَـــرَتْ بِـهِـمْ فِـي حَـيْـرَةٍ وَتَـضَـلُّـلِ
وَنِـلْـتُ مِـنَ الأَجْـرِ الـجَـزِيـلِ بِـقَـدْرِ مَا مِـنَ الـــوِزْرِ قَـدْ نَـالُـوهُ عِـنـدَ الـتَّـأَمُّـلِ
وَرُحْـتُ خَـفِـيـفَ الـظَّـهْـرِ مِـمَّـا أَتَـوْا بِـهِ وَرَاحُـــوا بِـظَـهْـرٍ جَـرَائِـمَ مُـثْـقَـلِ
فَـيُـجْـزَوْنَ فِـي الـدُّنْـيَـا بِـسُـوءٍ مُـعَـجَّـلٍ وَيُـجْـزَوْنَ فِـي الأُخْـرَى بِـبُـؤْسٍ مُـؤَجَّـلِ

تظهر قدرة الشاعر في هذه القصيدة على تقديم شخصيته من خلال السرد، وقد اعتمد الشاعر ضمير المتكلم لبناء صورة سردية داخلية وخارجية، تظهره بوصفه ضحية لأذى مقصود من أشخاص كانت تجمعه بهم علاقة ود واحترام. يتتابع السرد زمنيًّا على نحو يكوّن بنية حكائية محكمة، تبدأ بمرحلة الأذى المعنوي وتنتهي بحرق الحانوت، مقر رزقه ومصدر عيشه، وتتخللها مواقف تجلّت فيها استجابته الأخلاقية القائمة على الصبر والثبات. وقد اتّضحت في النص عناصر السرد الأساسية: فالحدث يتمثل في سلسلة الاعتداءات وانتهاء الأمر بالحرق، والزمان ينتقل من الماضي (الودّ) إلى الحاضر (الخذلان)، والمكان يتمحور حول الحانوت كمركز رمزي للرزق والكرامة. أما السارد، فهو الشاعر نفسه، يتولى سرد محنته بكامل الوعي والاطّلاع، كاشفًا انفعالاته الداخلية وتفاعله مع الواقع المؤلم. كما تتعدد الشخصيات السردية في النص، فإلى جانب الشخصية الرئيسة (الشاعر)، تظهر الشخصيات المضادة متمثلة في «الذين لم يراعوا

الوداد»، و«المؤذين» الذين انقسموا إلى صنفين: مُكثرٍ في الأذى، ومستهزئ أو مقلِّل، بالإضافة إلى «عاذل العذل» الذي يمثل سلطة المجتمع أو صوته المعارض. إن هذا التشكيل السردي داخل البنية الشعرية يعمّق من أبعاد الشخصية المركزية، ويجعلها نموذجًا أخلاقيًّا يقاوم الأذى بالتماسك، مما يعكس وعيًا سرديًّا ناضجًا ووظيفة فنية تُسهم في إبراز القيم الجمالية والإنسانية للشخصية المقدمة.

ملحق

تعريف الشخصيات التي ذكرها الشاعر في نصوصه الشعرية داخل البحث

- إبراهيم ابن عم الشاعر .

- ابن الازرق : محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (أبو عبد الله) الفقيه القاضي، شارح مختصر الشيخ خليل، ومؤلف بدائع السلك، توفي ببيت المقدس(٨٩٦/١٤٩٠). .

- ابن مفضل البسطي: قاضي بسطة، تولى هذا المنصب نيابة عن القاضي أبي حامد بن الحسن، انتقده الشاعر وسخر منه. لكن ذلك لم يمنعه من رثائه ووصفه بالقدرة على عقد الشروط والعدل في أحكامه. وفي وثائق غرناطة ذكر لمن اسمه أبو إسحاق إبراهيم حفيد أبي عبد الله محمد بن مفضل من ابنته عائشة .

- ابن منظور أبو عمرو : أحد رجالات دولة بني الأحمر، تولى قضاء مدينتي مالقة وبسطة. كما تولى قضاء الجماعة بغرناطة فقد ذكر صاحب نيل الابتهاج في ص ٣٢٣ أنه كان في هذا المنصب سنة ٨٦٤/١٤٥٩ قام بجمع المال من وادي آش وبسطة لإعانة مدينته مالقة لما عزم ملك قشتالة على محاصرتها وكان هذا سنة ٨٨٨/١٤٨٣،وقد وفق في سعيه هذا، وكان القيسي ممن أعانه بأن قال قصيدة في التحريض على ذلك. تولى بعد القضاء ديوان الإنشاء ورئاسة كتاب الحضرة كانت بينه وبين الشاعر مراسلات وقد التقى به في بسطة، وسافر للقائه بمالقة .

- أبو عبد الله التلمساني : لا نعرف على وجه التحقيق من هو هذا العالم التلمساني فقد يكون أبا عبد الله بن مرزوق التلمساني، الكفيف وقد أطال الوادي آشي صاحب البرنامج في ترجمته. وقد يكون أبا عبد الله بن مرزوق الحفيد الذي أخذ عنه القلصادي معاصر الشاعر .

- أحمد بن أبي حامد بن الحسن النباهي: (أبو جعفر) هو ابن قاضي بسطة أبي حامد بن الحسن النباهي. يسمح أنه ينتمي إلى عائلة القاضي النباهي المالكي صاحب المرقبة العليا، ومنافسه ابن الخطيب في بلاط غرناطة، نايله ابن حفيده وقد يكون هو نفسه الشاعر المذكور في مخطوط مظهر النور الباصر تحت اسم أحمد ابن الحسن النباهي. وأبو جعفر هذا أحد من تغزل بهم الشاعر في ديوانه .

- حابس المرتبي: ليس اسمًا لشخص بعينه معروف تاريخيًا، بل هو تعبير ساخر استخدمه الشاعر للإشارة إلى مسؤول ظالم يمنع الرواتب، مما يعكس نقده للأوضاع السياسية في أواخر العصر الأندلسي بالمغرب .

- قتادة بن النعمان: ابن زيد بن عامر. الأمير المجاهد، أبو عمر الانصاري الظفري من نجباء الصحابة .

- محمد البياني: (أبو عبد الله) شيخ الشاعر. كانا يتراسلان عندما امتحن الشاعر بالأسر. وكان الأستاذ يحرض القيسي على الصبر ، وكان الشاعر يشكو حاله ويطلب منه الدعاء له. ويبدو أن علاقة القيسي بشيخه تأزمت بعد انعتاقه من الأسر، وخاصة عندما تولى البياني خطة ناظر الأحباس، وحبس عنه مرتبه منها، كما أنه لم يلب طلبه عندما كتب له يريد كراء حبس بجوار منزله .

- محمد البياني: (ابو عبد الله)أبو حامد بن الحسن التباهي المالقي : ترجح أنه حفيد القاضي والوزير الشهير التباهي المالقي صاحب المرقبة العليا. تولى قضاء بسطة وقضاء المرية. وجد اسمه في فتوى فقهاء الأندلس في من نبذ بيعة السلطان أبي الحسن النصري. يبدو أنه كانت تربطه بالقيسي علاقة صداقة متينة تجلت فيما قاله فيه من أشعار. لكن هذه الصداقة لم تمنعه أحيانا من معاتبته متهما إياه بظلمه وتقديم من هو أقل منه، عليه .

الخاتمة

ندرج فيما يأتي أهمَّ النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

- اعتمد البسطي على آليات السرد في تقديم شخصياته، مقدمًا إياها ضمن فضاء شعري غني بالوصف والتوتر الحواري والسرد الذاتي. وقد اتضح أن الشخصية في شعره ليست مجرد أداة جمالية، بل هي حامل دلالي متعدد الوظائف: أخلاقي، اجتماعي، ووطني. كما أن الشاعر لعب دور الراوي العليم، مستثمرًا تقنيات السرد الحديثة داخل الإطار الشعري التراثي.

- اتخذ الشاعر من الوصف أداة رئيسة في تقديم شخصياته الشعرية، مبرزًا ممدوحه ومهجوه ومحبوبه ومرثيه عبر تجسيد صفاتهم الظاهرة والباطنة، مستعينًا بتوظيف فني متقن يمزج بين السرد والصور البلاغية والسخرية، ليخلق لكل شخصية هويتها الخاصة التي توجه المتلقي نحو موقف محدد.

- استغل البسطي تقنية الحوار كمدخل سردي حيوي، موفّراً من خلالها فضاءً للكشف عن أعماق النفس والواقع الاجتماعي والعاطفي للشخصيات، مستخدمًا حوارًا متنوع الأشكال، مباشرًا وغير مباشر، نفسيًا واستفهاميًا، بما يعزز التفاعل الدرامي ويضفي على النص طابعًا نابضًا بالحياة.

- وظّف الشاعر السرد كأداة محورية في بناء الشخصيات، حيث جمع بين السرد الذاتي والموضوعي ليكشف الأبعاد النفسية والأخلاقية، ويبرز تحولات الشخصيات ومواقفها في سياقات واقعية، مسهمًا بذلك في تشكيل رؤية نقدية عميقة تعبّر عن صراع الذات مع المجتمع والسلطة.

- في تقديم الشخصية عبر السرد، يظهر الشاعر في معظم نصوصه ساردًا وراويًا عليمًا بالأحداث التي مرّ بها، ولا سيّما في محنته الثانية المتمثّلة في حرق الحانوت.

المصادر

- أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط٧، ١٩٦٨م.
- البسطي آخر شعراء الأندلس، د. محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، مكتبة لسان العرب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
- بنيَة السرد العربي من مساءلة الواقع إلى سؤال المصير، محمد معتصم، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الامان، الجزائر، الرباط، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن- الشخصية)، حسين بحراني، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بوعزة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- جماليات التشكيل الروائي، د.محمد صابر عبيد، ود.وسن البياتي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية،ط١، ٢٠٠٨م.
- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي(٢٨٤-٣٥٦)، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٦٢م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١٢.
- دراسات في نقد الرواية، د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي، تحقيق د. جمعة شيخة، ود. محمد الهادي الطرابلسي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، طرابلس، تونس، ١٩٨٨م.
- الرواية العربية، البناء والرُّؤيا، د. سمر روحي فيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
- السرد القصصي في الشعر الجاهلي، أ.د.حاكم حبيب عزر الكريطي، تموز طباعة ونشر وتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
- سير اعلام النبلاء، الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق:شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ، سوريا، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الشخصية في عالم غائب طعمة فرمان الروائي، د. طلال خليفة سلمان، إصدارات مشروع

بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط١، ٢٠١٢م.

- علم السرد مدخل الى نظرية السرد ، يان مانفريد ، ترجمة اماني ابو رحمة، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق ،ط١.

- فن المسرحية، فرد ب. ميليت، جيرالد ايدس بنتلي، ترجمة: صدقي حطاب، مراجعة: د. محمود السمرة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦م.

- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارت، ترجمة: د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب سورية، ط١، ١٩٩٣م.

- مدخل إلى نظرية القصة(تحليلاً وتطبيقاً)، سمير المرزوقي، وجميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

- المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمد بريري، شارع الجبلاية بالاوبرا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

- المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمد بريرى، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م.

- المصطلح السردي(معجم المصطلحات)، جيرالد برنس، بنتلي، ترجمة:عابر خزاند، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، بيروت-لبنان، ١٩٧٩م.

- من اصطلاحات الأدب الغربيّ، د. ناصر الحاني، دار المعارف، مصر، القاهرة.

- الموسوعة الفلسفية، م. روزنتال، ب. يودين، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: صادق جلال العظم، وجورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: د. محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الوصف في الشعر العربي، عبد العظيم علي قناوي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولادة، مصر، ط١، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.

- وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،ط١، ٢٠٠٩م.

الرسائل والاطاريح:

- البنى السردية في شعر السجون من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، اعداد: خالد جمال حسين العيساوي، إشراف: أ.م.د. إخلاص محمد عيدان، (رسالة ماجستير)، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٥م.

المجلات:

- عبد الكريم بن محمد القيسي الغرناطي آخر شعراء الأندلس الشاعر الذي أدرك محنة غرناطة الأخيرة، د. محمود علي مكي، وزترة الثقافة، القاهرة.